والكل يعلم انك خدمت في الجيش العثماني الى ١٩١٨ وفي تشرين الاول من تلك السنة ، دخل العرب دمشق فاتحين ، وتحولت دمشق من أول تشرين الاول الى تموز ١٩٢٠ مدة أكثر من عشرين شهرا ، الى بركان تارة يثور ويهيج ، وطورا يسكن ، اذ كنت انت على رأس هذا البركان ، فاجتمعت في دمشق رجالات العرب من الشام وفلسطين ولبنان والاردن والعراق والحجاز ، ابتغاء ان يرسى أساس الدولة العربية الجديدة ، المستأنفة بعد دولة بني العباس ، وكانت ثلاثة « ثعابين » حولكم تعمل على ابطال عملكم ، وردكم القهقرى ، وعرقلتكم : بريطانيا ، والصهيونية ، وفرنسا .

في سنة ١٩١٩ لما جاءت « لجنة كراين » الى سوريا وفلسطين ولبنان ، كنت البطل في تنبيه عرب فلسطين ، قومك وعشيرتك الاقربين ، الى ما ينبغي لهم أن يقولوه ويفعلوه وينادوا به ، من وجوب الاعتصام بدولة سورية العربية المتحدة ، « من طورس الى رفح » ، ضامة الشام اليها فلسطين ضم الام وليدها . « من طورس الى رفح » ، بقيت مدة العشرين شهرا الكلمة الهائجة الرائجة في هذه الاقطار كلها . في سنة العشرين ، سيدي الامين ، كان « النادي العربي » الذي أنشأته منذ السنة السابقة في باب الخليل في القدس ، لم يزل يؤدي رسالته ، وانت تنادي بأن فلسطين هي سوريا الجنوبية . وجعلت « النادي العربي » في القدس ، على غرار النادي العربي في دمشق المؤسس بعد فتح الشام ليكون ملقى العزائم ومعقد الروابط ، ويصغى اليه ، ويتبع ارشاده . كنت أنت أشد المهامين في خاصرة عرب دمشق في تلك الفترة ، تنبههم الى « الثعبان الصهيوني » يشهد لك بهذا الرفقاء الامناء ، وهذا عزة دروزه في دمشق اليوم من أول الشاهدين .

في سنة ١٩٢٠ ، وقد دخل غورو دمشق ، وتشتت العرب « الميسلونيون » ، وقبل تموز ، كنت أنت في موسم النبي موسى قد أعطيت أول درس للطامعين ، ليعلموا أن فلسطين لن تكون لليهود منازل وقصورا ، بل تكون لهم أجداثا وقبورا . وخرجت من فلسطين ووراءك حكم عسكري غليظ ، وعدت بعد نحو سنة فوجدت ذلك الحكم ممحوا .

تبارك الله !! ففي سنة ١٩٢٢ توليت الافتاء بعد أخيك ، وانتخب المسلمون في فلسطين « المجلس الاسلامي الاعلى » ، مؤلفا منك رئيسا دائما ومن اربعة أعضاء معك يمثلون فلسطين كلها . من تلك السنة الى سنة ١٩٧٤ الحاضرة ، وانت على شوط واحد ، اثنتين وخمسين سنة ، لم تسترح يوما ، ولا تخليت عن سلاحك ، فكنت في هذا الشوط البطل الثائر ، والمثل السائر ، والفلك الدائر ، فمن هذه المدة ١٥ سنة ، من ١٩٢٢ — ١٩٣٧ قضيتها في فلسطين رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ، وقائدا للحركة الوطنية ، وذائدا عن البلاد في وجه الصهيونية وحاميتها بالسلاح بريطانيا ، الممارسة لاشنع نوع من الاستعمار في بلاد العرب عامة وفلسطين خاصة منذ القرن الماضي .

وخرجت من القدس ، من منزلك قرب الحرم الشريف ، الى لبنان ، مضطرا الى هذه الهجرة ، فبقيت في لبنان حتى فتوق الحرب الثانية بعد سنتين ، ولم تطل مقامك في بيروت بعد ذلك طويلا ، اذ شعرت ، وانت الملهم ، بأن بريطانيا تبغي أن تطلب من فرنسا حليفتها ، تسليمها اياك ، فانتقلت الى العراق ، وارشدت القوم وهم يدراون عنهم بغي الانكليز ، ولما تغلبت بريطانيا على العراق ، انتقلت الى ايران ولما وصل الحلفاء الى هناك انتقلت الى ايطاليا والمانيا وبقيت في بلاد المحور سني الحرب كلها ، الى أن انهار الجيش الالماني ، وأمسكك الجيش الفرنسي أسيرا ، فبقيت في باريز مدة ، على الكرامة في المعاملة ، والحذر مما وراء الستار ، وجاءت بريطانيا تطلب من باريز ان تتسلمك ، كما مثل طلبها في بيروت قبل سبع سنين ، فيسر الله أمرك بالانتقال السري الى مصر ،